ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

المؤسسات العلمية في بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني(1700-1830م)

The Beylik Institutions of West Algeria during the Ottoman Era

صص122-146

الباحثة: سعدية رقاد
Rekad Saadia
طالبة دكتوراه ل.م.د تاريخ- قسم التاريخ وعلم الآثار-
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية
جامعة وهران1 أحمد بن بلة (الجزائر)
rekadsaadia@gmail.com
وعضو في مختبر تاريخ الجزائر.

تحت إشراف أ.د محمد دادة
Pr. Dada Mohamed
أستاذ تاريخ قسم التاريخ وعلم الآثار
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية
جامعة وهران1 أحمد بن بلة (الجزائر)
Med.dada@yahoo.fr

تاريخ استقبال المقال: 2018/07/08، تاريخ المراجعة: 2018/07/16، تاريخ القبول: 2018/10/02.

الملخص: يعالج موضوع الدراسة قضية جوهرية في ثناياه: وهي قضية التعليم لارتباطها بالمؤسسة العلمية أولا، وبالهوية الوطنية ثانيا؛ فالبلاد الجزائرية كغيرها من الأقطار الأخرى قطعت أشواطا وتجارب كثيرة في مسار الحركة العلمية وتنميتها، وذلك بإقامة وتأسيس العديد من المؤسسات والمراكز العلمية في أرجاء مدنها عامة وبايلك الغرب خاصة؛ فقد عرف بايلك الغرب الجزائري خلال الفترة الممتدة من 1700-1830م ازدهارا علميا مرموقا، تجلت مظاهره في بروز مؤسسات علمية متنوعة من مساجد وكتاتيب ومدارس ومكتبات وزوايا ورباطات، وكانت بمثابة مراكز إشعاع علمي وثقافي في المنطقة، كما أسهمت إسهاما كبيرا في تفعيل مسار الحركة العلمية والثقافية، الأمر الذي أدى الى خلق جو علمي معرفي رائد كانت له العديد من الآثار الايجابية على أفراد المجتمع الجزائري، والتي تجلت ملامحها في ظهور علماء متميزين خدموا حقل المعرفة العلمية بمختلف أصنافها وفروعها،كما أصبحت حواضره قبلة للدارسين والمهتمين بدروب المعرفة خلال العهد العثماني.

الكلمات المفتاحية: المؤسسات العلمية؛ التعليم؛ بايلك الغرب؛ العهد العثماني؛ الحركة العلمية والثقافية؛ المساجد؛ الكتاتيب؛ المدارس؛ المكتبات.

Abstract: The study discusses the case of a fundamental question within it: the question of education which is related to the scientific institution in the first place, and national identity on the other hand. The country of Algeria, like other countries, has evolved and known a lot of experiences in the field of scientific

movement and its development. It established and set up several institutions and scientific centres in all the public cities, especially in the west Beylik, which made Algerians live an intellectual harmony, a cultural interconnection. Moreover, they even integrated the Ottoman regency. The Beylik of western Algeria experienced during the period 1700-1830 a scientific progress, which was manifested in the emergence of various scientific institutions as: mosques, Coranic schools, schools, libraries and Zaouias. In addition to centres of guard named Ribbat, which served as centres of scientific and cultural outreach in the region. It has also contributed significantly to the activation of the scientific and cultural movement path, which led to the creation of a scientific atmosphere and a climate of knowledge that had many positive effects on the members of the Algerian society. It stood out by the emergence of eminent scientists who served the scientific knowledge in various fields and branches. In addition, its scientific cities (Hawadher) have become a magnet for students and those interested in knowledge during that period.

Key words: Scientific institutions; Education; The Beylik of western Algeria during the Ottoman regency / era 1700-1830.

مقدمة: تعتبر البلاد الجزائرية كغيرها من الأقطار، التي قطعت أشواطا وتجارب كثيرة في مسار الحركة العلمية وتنميتها خلال العهد العثماني، وذلك بإقامة واصلاح العديد من المؤسسات والمراكز العلمية في أرجاء مدنها عامة وبايلك الغرب خاصة؛ فقد شهد هذا الأخير خلال الفترة الممتدة من 1700-1830م العديد من التحولات والتغيرات التي مست مختلف مجالات الحياة بما فيها الحياة الثقافية والعلمية وتحديدا في عهد الباي محمد الكبير الذي اولى أهمية كبيرة للإصلاح الثقافي والنهوض بمعالمه ومؤسساته في المنطقة، وعلى هذا الأساس ارتأينا البحث في هذا الموضوع، وذلك بطرح التساؤل الآتي: ماهي أهم المؤسسات العلمية في بايلك الغرب الجزائري؟ وكيف أسهمت في تفعيل الحراك الثقافي والعلمي في المنطقة؟

المراكز العلمية والثقافية في بايلك الغرب : تحصر أغلب الكتابات التاريخية فضاء المؤسسة العلمية خلال العهد العثماني في المساجد والكتاتيب والمدارس وخزائن الكتب، وكذا الرباطات والزوايا؛ فهي الأماكن الخاصة بالعلم والمعرفة[1]، وكانت منتشرة في المدن والأرياف[2]، وعلى هذا الأساس حدث نوع من التوازن بين المدينة والريف، واتسعت قاعدة التعليم وعمت أنحاء البلاد[3]. بالمقابل لم تكن في البلاد أي نوع من الجامعات العليا المتعارف عليها كجامعة الأزهر والقرويين والزيتونة[4]، وهذا ما يستبعد رأي الرحالة الفرنسي فونتير دو بارادي الذي تحدث في القرن الثاني عشر

ردمد EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

هجري (الثامن عشر ميلادي) عن وجود ثلاثة جامعات لتعليم مذهب مالك بن أنس في مدينة الجزائر وحدها[5]، وربما قصد الكاتب من خلالها الجوامع الكبرى التي كانت تنتظم فيها الدروس وحلقات العلم من طرف كبار العلماء والشيوخ كالجامع الأعظم بالجزائر[6].

وعموما ارتبطت صيرورة الحركة التعليمية بمصير هذه المؤسسات ومدى توفرها، ويعود ذلك للدور الكبير الذي تضطلع به في بناء وتكوين البنية الاجتماعية للبلاد بالدرجة الأولى، وكذا تأثيرها على مختلف ميادين الحياة، ومساهمتها في ارتقاء البلاد ثقافيا وحضاريا، ومن أبرز هذه المؤسسات العلمية نذكر:

1- **المساجد والجوامع:** تعد المساجد من أهم المؤسسات التي أوكلت لها مهمة نشر العلم والمعرفة منذ فجر الإسلام وانطلاق الفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب الإسلامي؛ فهي تعتبر اللبنة الأساسية في هذا المجال،كما يعود لها الأثر البارز والدور الكبير في إرساء دعائم التعليم في البلاد الإسلامية عامة والبلاد الجزائرية بخاصة.

وعموما تمثلت مساجد الغرب الجزائري خلال العهد العثماني في مساجد مدينة مازونة، التي كانت تضم المسجد المركزي (الجامع) ومساجد الأحياء الأربعة[7]، حيث كان كل حي يضم مسجدا[8]، وحسب ما أورده أبو القاسم سعد الله حول مساجد مازونة خلال العهد الحديث؛ فقد ذكر أنها كانت تحوي ثلاثة مساجد بدون صوامع حسب إحصاء سنة 1839م دون ذكر أسمائها، أما مصيرها بعد الاحتلال فمجهول[9]، والظاهر أنها لاقت نفس المصير الذي آلت إليه أغلب المؤسسات الدينية في الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي من تخريب وتدنيس.

بالموازاة مع ذلك تميزت مدينة معسكر بمساجدها الهامة، والتي قدرت بثلاثة مساجد رئيسية كانت تؤدي دورا كبيرا في مجال الحياة العلمية والفكرية في المنطقة ومن أبرزها:

1-1-**الجامع العتيق (الاعظم):** يعد من أهم المعاهد الإسلامية العتيدة الضاربة في تاريخ المنطقة، فحسب ما ذكره الأستاذ المهدي البوعبدلي، فإن تأسيس هذا الجامع يعود إلى العهد المريني؛ فقد وجد الأثريون قطعة من منبره وضعت في متحف فاس خلال الفترة الاستعمارية الفرنسية[10]، ولذلك سمي بالعتيق، كما شهد هذا الجامع

خلال العهد العثماني العديد من الاصلاحات والترميمات التي قام بها الباي محمد الكبير منها: إعادة بناء الجامع وتوسعته، واستحداث خمسة ميضآت للوضوء والطهارة بعدما أجرى إليها الماء،كما أبدل منبره بأفضل من ذي قبل[11]، ويعتبر المسجد العتيق إحدى الدعامات الأساسية التي أثرت الحياة العلمية في معسكر، كما أنه يعد دليلا واضحا على تلك النهضة الحضارية التي شهدها بايلك الغرب خلال القرن الثامن عشر، حيث استمر نشاطه العلمي والثقافي في مدينة معسكر طيلة الحكم العثماني وإلى غاية وقوع الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي، وسقوط مدنها الواحدة تلو الأخرى بما فيها معسكر سنة 1251هـ/1835م.

1-2- الجامع الكبير(جامع السوق): يعتبر الجامع الكبير أيضا من المعالم الدينية الهامة التي شيدت في معسكر خلال القرن الثامن عشر من طرف السلطة العثمانية الحاكمة، وبالضبط في فترة حكم الباي الحاج عثمان- ويقال له عصمان- الذي حكم بايلك الغرب مرتين الأولى في تلمسان والثانية بايا على كامل الإيالة الغربية سنة 1160هـ/1747م[12]، وهي السنة التي شيّد فيها الجامع الأعظم بمعسكر، وقد سجّل لنا الزياني نصا تاريخيا حول تاريخ هذا الجامع ونقله في كتابه دليل حيران وأنيس السهران قائلا: "الحمد لله حمدا لا نهاية لطوله، وصلى الله على سيدنا محمد نبينا عبده ورسوله، أما بعد فقد أمر ببناء هذا المسجد المبارك المحمود المعظم الأرفع... مولانا الحاج عثمان باي ابن السيد ابراهيم خلّد الله ملكه ملك عاليا، وهو على الأمة واليا ساميا، وكان ذلك في شهر شعبان عام 1160هـ[13]، وهو النص الموجود على اللوحة التذكارية المخلدة لتأسيسه.

لقد بادر الباي حاج عثمان إلى بناء هذا الجامع ليكون أول الإنجازات العلمية والحضارية له في المدينة؛ فهو بمثابة النواة الأولى لمثل هذه المنشآت الدينية الكبرى في معسكر، كما أعطى للمدينة مظهر الأبهة والعظمة التي تعتبر من أهم الميزات الحضارية في تأسيس المدن الكبرى. وقد استفاد هذا الجامع من الإصلاحات التي مست مختلف المؤسسات العلمية خلال فترة الباي محمد الكبير، ونشير إلى ما أفادنا به ابن سحنون: "فكان أول ما صرف اليه همته أن شرع في إصلاح مساجد الجمعة؛

فزاد في جامع السوق الصفين المقدمين[14]، وهذا لزيادة المترددين عليه خاصة وأنه يقع في وسط المدينة.

زيادة على ذلك فقد عرف الجامع الكبير بعض التغيرات خلال مراحله التاريخية إذ أطلقت عليه تسمية جديدة- "مسجد مصطفى ابن التهامي"- نسبة إلى صهر الأمير عبد القادر، إضافة إلى ذلك أصبح المؤسسة العلمية والدينية الوحيدة والأساسية في المدينة خلال الحقبة الاستعمارية، كما لعب أدوارا بطولية ضد السياسية التبشيرية التنصيرية المدعمة من قبل السلطات الفرنسية، خاصة بعد تأسيس كنسية بالقرب منه ومقابلة للباب الرئيسي له[15].

1-3- الجامع الكبير: أسسه الباي محمد بن عثمان الكبير في الفاتح من ذي القعدة 1195هـ الموافق لـ نوفمبر1781م، على يد المهندس أحمد بن صار مشق التلمساني[16]، عرف هذا الجامع بعدة تسميات، كما اقترن البعض منها بأحداث تاريخية هامة وقعت في مدينة معسكر؛ فقد سمي بالجامع الأعظم وجامع الباي محمد الكبير[17]، وجامع عين البيضاء[18]، كما يطلق عليه جامع المبايعة[19]، وجامع سيدي حسن[20]، وهو يعد من أبرز المنشآت الخيرية والمؤسسات الدينية والعلمية في بايلك الغرب،كما نال هذا الجامع إعجاب الناس في تلك الفترة، بل أصبح من عجائب هذه المدينة، فقصدوه للعبادة والتسبيح من جهة، وللتنزه والنظر لجماله الفائق وروعته الهندسية من جهة أخرى[21].

لقد كان الجامع الكبير تحفة فنية رائعة، ومعلما إسلاميا هاما أعطى لمدينة معسكر مكانة خاصة في ذاكرة أجيالها المتعاقبة، وزاد من شهرتها كحاضرة علمية مرموقة في بايلك الغرب.

إلى جانب ذلك عرفت كل من مدينتي مستغانم ووهران العديد من المساجد في أرجائها ومن أهمها نذكر:

1-4- الجامع الكبير (العتيق): يعتبر من المساجد القديمة في مدينة مستغانم[16]، حيث يعود تاريخ تأسيسه الى الفترة المرينية، إبان حكم السلطان المريني أبو الجسن (742هـ-1340م)، وهذا ما تخلده اللوحة التاريخية الموجودة فيه: "الحمد لله رب العالمين

والعاقبة للمتقين، أمر ببناء هذا الجامع المبارك سيدنا ومولانا السلطان الأعدل عبد الله علي أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبو الحسن ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي يوسف بن عبد الحق وصلى الله على نبيه وبلغه فعل الخير سعيد ومقصوده وجعل ملوك الشرك حوله وعبيده وذلك في عام اثنين وأربعين وسبع مائة[22]. وقد ظل هذا الجامع صامدا طيلة الفترة الوسيطية، وحتى العثمانية حيث أولى الحكام العثمانيين عناية كبيرة ورعاية خاصة؛ فغلفوا محرابه بالآجر المزركش الجميل، وزودوه بالقناديل والشموع وأنفقوا على أئمته وقضاته، وأنشأوا بداخل قاعة الصلاة سدّة للآذان والتسميع على عادة مذهب الأحناف[23].

قام هذا المعلم الحضاري بدور كبير وبارز في تعميق أصول الدين الإسلامي ومبادئه في نفوس السكان،كما كان بالمقابل مركزا لتعليمهم وتربيتهم وتخريج جيل من طلبة العلم والفقهاء والمحدثين والأدباء وحفاظ القرآن الكريم.

1-5- مسجد البرانية أو بني عامر: تأسس هذا المسجد على يد الباي مصطفى بوشلاغم المسراتي سنة 1708م[24]، وهو الباي الذي أستطاع فتح مدينة وهران ودحر الإسبان منها مدة من الزمن حتى سنة 1732م[25]، وقد أظهر هذا القائد حماسة كبيرة في إعلاء شأن الإسلام؛ فأعاد تخطيط وبناء مدينة وهران، وقد أقيم هذا المسجد بالقرب من باب الجيارة خارج السور قصد تثقيف السكان والتجار الأجانب الذين يحضرون إلى وهران من مختلف المناطق، وكذا توفير سبل الراحة والاستقرار في المدينة، إلا أن هذا المسجد لم يستمر إشعاعه العلمي طويلا فقد هدمه الإسبان عام 1732م، وأقاموا مكانه برج قورد (La tour Gourd) لتدعيم برج الصبايحية[26]، لكن الباي محمد بن عثمان هدم هذا البرج بعد فتحه للمدينة، وأعاد بناء المسجد الذي بقي عامرا حتى سنة 1844م،حيث حوله الفرنسيون إلى كنيسة باسم القديس أندري[27].

مما لا شكّ فيه أنّ هذا المسجد كان منارة علم ومكانا للعبادة ومكان اجتماع للمسلمين في المدينة،كما أسس الباي محمد الكبير العديد من المساجد بعد فتح المدينة بغرض تعميرها وبنائها من جديد ومن ذلك:

1-6- جامع الباي أو " جامع بناصف": يعتبر مسجد أحمد بناصف أول مسجد يقيمه الباي محمد الكبير في وهران[28]، وذلك في السنة الأولى من الفتح أي سنة 1207هـ-1793م[29]، وسمي بناصف لكونه كان به وكيلا وبأموره قائما كفيلا[30]، وقد أقيم هذا المسجد عند مدخل المدينة حسب ماورد عند الزياني "أنه بناه بالموضع الذي وقف به فرسه عند الباب: مسجدا للصلوات الخمس والجمعة، ويعرف للآن عند الناس بجامع بالناصف"[31].

وحسب علماء الآثار والدراسات الحديثة التي أجريت عليه، فإن هذا المسجد هو من أجمل وأحسن مساجد وهران في الفترة العثمانية من حيث الرونق والإبداع الفني والزخرفة الجميلة، وكذا الاتساع، كما أنه يشبه في تصميم مئذنته مآذن المغرب والأندلس[32]، ويدل هذا الأمر على حرص الباي محمد الكبير على تهيئة وبناء المدينة في أجمل وأحلى صورة باعتبارها عاصمة البايلك.

1-7- المسجد الأعظم المعروف بمسجد الباشا: بني هذا المسجد الكبير بأمر من حاكم مدينة الجزائر حسن باشا[33] تخليدا لفتح وهران الثاني، وهذا حسب ما ذكرته النصوص التاريخية، أنّه وبعد تحقيق النصر الكبير وجلاء الإسبان نهائيا من الجزائر، سرّ باشا الجزائر بهذا الفتح أيّما سرور؛ فأشارت عليه زوجته بأن يجعل له ذكرى ومقاما في المدينة يشهد له بهذا الإنجاز العظيم؛ فجاء أمر بناء هذا الجامع[34]، وبخصوص التكفل بهذا المشروع فقد عهد ذلك للباي محمد الكبير، بعدما بعث له صندوقين من المال لتمويل نفقاته، وهو المال الصادر من بيع الأسرى المسيحيين[35]، كما أشرف على بنائه أمين البنائين في ذلك الوقت محمد الشرشالي ابن بيرت[36]، وقد شرع في بنائه مباشرة بعد الفتح عام 1207هـ/1792-1793م، وتم الانتهاء منه سنة 1210هـ/1796م، وهو ما تشير إليه اللوحة الفرنسية الموجودة على بابه الرئيسي[37]. وهو يعد من أروع المساجد العثمانية التي شيدت في القرن الثامن عشر[38]، حيث استعملت فيه أنواع كبيرة من الزخرفة والهندسة المعمارية التي تشبه إلى حد كبير تلك التي استخدمت في المعالم الأندلسية كقصر الحمراء بغرناطة وكذا المساجد المرينية والزيانية بتلمسان[39] كما أرفقه الباي محمد الكبير بمجموعة هامة من الأحباس[40]. وبلا شك فإن هذه المؤسسة الدينية والعلمية أسهمت في تعليم الكثير من

ردمد EISSN 2600–6324 ISSN 2170–1636 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

أبناء الجزائر،كما درس بها جيل من العلماء والطلبة والفقهاء والمحدثين والشيوخ والأدباء، وتخرّج منها كثير من لمثقفين وعلى رأسهم الأمير عبد القادر الذي عاش بهذه المدينة مع والده محي الدين أربعة أعوام[41].

1-8- مسجد الباي محمد الكبير: شّيده الباي محمد الكبير بعد استرجاع مدينة وهران غير بعيد عن الواجهة البحرية، في المكان المسمى قديما بخنق النطاح سنة 1793م[42]، وهو في الأصل مدرسة أكثر منه مسجدا[43]، وقد أشار إليها الزياني- عرضا- عندما تحدث عن منشآت الباي في وهران قائلا: "وبنى المدرسة العظيمة بخنق النطاح التي بها ضريحه وتعرف للآن بالمدرسة..."[44]، وبعد الفتح الأخير حدث وباء كبير في المنطقة وانتقل لسكان مدينة وهران، فارتحل الباي وأسرته من داخل وهران إلى مدرسة خنق النطاح؛ فأصبحت المدرسة بعد ذلك عبارة عن مسجد خاص للباي وأسرته[45].

ويعتبر هذا المسجد أقل حجما من جامع الباشا، كما أشرنا إلى أن المسجد في الأصل كان مدرسة؛ فقد أضيفت له القبة الضريحية ليدفن بداخلها الباي محمد الكبير وباقي أفراد عائلته[46]، وتعتبر منارته الشاهقة من المعالم النادرة التي كان يتوقف لأجلها الفانون والسياح القاصدون مدينة وهران خلال العهد العثماني[47].

1-9- **مسجد سيدي الهواري:** يعتبر مسجد سيدي الهواري من المساجد العثمانية الهامة التي شيدت في القرن التاسع عشر، وتم تأسيسه من طرف الباي عثمان بن محمد الكبير سنة 1799-1800م، وهي السنة التي تولى فيها حكم الإيالة الغربية بعد وفاة أبيه، تميز هذا المعلم الديني بهندسة معمارية جميلة تجلت ملامحها في منارته الشاهقة[48]، وأيضا تواجده بجوار قبة سيدي الهواري[49]، وهو يقع بالقرب من مدخل القصر القديم، وقد وجدت كتابة أثرية فيها بعض الطمس لحروفها هذا نصها: "... أمير المؤمنين... أمر ببناء هذا المسجد المبارك... في سنة 1213 (1799-1800م)[50]، ويرجح المؤرخ يحي بوعزيز أن هذا المسجد قد تأسس في أواخر القرن الثامن هجري (الرابع عشر ميلادي)[51]، وهذا يجعلنا نرجح أن هذا المسجد ربما بني على أنقاض مسجد سابق (زاوية سيدي الهواري)، خاصة وأن مدينة وهران عاشت ثلاثة قرون تحت وطأة

ردمد EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

الاحتلال الإسباني الحاقد على كل ما له صلة بالإسلام والمسلمين، وطمس كل معالمهم الحضارية التي ترمز للهوية الإسلامية.

وعلى غرار المدن السابقة، تميزّت تلمسان بالعديد من المساجد والجوامع في أرجائها إذ بلغ عدد المساجد بها مع أواخر العهد العثماني خمسون مسجدا منها جامع سيدي بومدين والجامع الكبير وجامع محمد السنوسي وجامع ابن زكري وجامع أولاد الامام[52].ومدينة ندرومة هي الأخرى توفرت بها مساجد عديدة أشهرها الجامع الكبير، ومسجد القدارين.[53]

2- الكتّاب (المدرسة القرآنية): يعتبر الكتّاب إلى جانب المسجد من أولى المؤسسات العلمية التي ظهرت مع بداية الإسلام بهدف تلقين القرآن للناشئة ونشر تعاليم الدين الإسلامي؛ فتاريخ هذه المؤسسة ارتبط بالتاريخ الإسلامي نفسه[54]، كما أنّ ارتباط الكتّاب كان وثيقا بالمسجد الجامع، ثم انفصل لاحقا عنه ليستقر كالمدرسة في أماكن أخرى[55].

والكتّاب في البلاد الجزائرية عموما هو تعبير يشير الى المدرسة الابتدائية اليوم، والذي كان له دوره الدائم في تلقين التعليم في بلاد الإسلام، ويعرف في بلاد المغرب الإسلامي بالمسيد (ربما نسبة للمسجد)، وهو يؤمن الثقافة الإسلامية الأساسية للفرد المسلم، إذ كان الأطفال يتعلمون عبر النصوص القرآنية الأصول الأولى للإسلام[56]، وعليه فالكتّاب يعد مظهرا هاما من مظاهر الموروث الثقافي التعليمي في الإسلام. لقد كانت الكتاتيب منتشرة في كل مكان؛ فمدينة الجزائر وحدها كانت تضم مائة كتّاب حسب رواية الجامعي الفاسي عندما تحدث عن الكتاتيب القرآنية في هذه المدينة قائلا: "وقد كان بهذه الحاضرة نحو مائة مكتب مليء بالأولاد حيث أن المحل الذي لا يسع للتلاميذ يجعلون فيه سدّة يصعدون عليه الدرج، يتعلمون الكتابة والقراءة وحفظ القرآن"[57].

إضافة الى شهادة الجامعي أشاد الكثير من المستشرقين الغربيين الذين زاروا الجزائر بكثرة الكتاتيب أو المدارس الابتدائية في البلاد، ويقول في ذلك قنصل أمريكا في الجزائر وليام شالر: "كانت مدينة الجزائر تملك الكثير من المدارس العادية التي يتردد

عليها الأطفال ابتداء من سن الخامسة والسادسة فصاعدا،حيث يتعلمون القراءة والكتابة، ونظرا لأن الأمور لا تتطور بسرعة في هذه البلدان؛ فأنا أميل إلى الاعتقاد بأننا مدينون للعرب بالطريقة التربوية المعروفة عندنا بالانكاستر"[58].

ومع دخول الاحتلال الفرنسي إلى الجزائر تعجب الكثير من المسؤولين الفرنسيين لانتشار التعليم الابتدائي في الجزائر حيث كشفت تقاريرهم أنّ ارتفاع نسبة الكتابة والقراءة لدى الجزائريين كانت تفوق توقعاتهم[59]؛ فقد ذكر مارسال إيمريت في حديثه عن الحياة الثقافية بالجزائر أن: "أغلب الأولاد الذين تتراوح أعمارهم بين السادسة والثانية عشر كانوا يتعلمون في المدارس الابتدائية- الكتاتيب القرآنية- وضرب مثالا حول ذلك من خلال مدارس تلمسان في الغرب الجزائري، التي كانت تضم حوالي خمسين مدرسة ابتدائية يتعلم فيها ألفا تلميذ[60]، وعليه يتضح لنا من خلال هذه التصريحات أن الجزائريين خلال العهد العثماني أدركوا أهمية التعليم ودوره في المجتمع لذلك حرصوا على تعليم أبنائهم، وتوفير كل الوسائل له من أجل مستوى أفضل.

كانت الكتاتيب عموما مقصدا للأطفال الذين تتراوح أعمارهم مابين ستة وعشر سنوات، ليحفظوا بعض السور من القرآن الكريم ومبادئ في العبادات بالإضافة إلى القراءة والكتابة[61]. كما كان عددهم في كل كتّاب يتراوح ما بين خمسة عشر وعشرين تلميذا، ويمثل هذا المرحلة الابتدائية في التعليم، تحت أنظار من يسمونه المعلم أو المدرس أو المؤدب في البلدان العربية، والخوجا في تركيا، ومكتب دار في إيران، وملم أو فقيه في بعض اللهجات العربية[62]، ويعرف في بعض المناطق الريفية بالمشارط، وكان كل حي يتولى تعيين أحسن المعلمين الذين تتوفر فيهم شروط الدين والعفة والتقوى والمعرفة، وأكد البعض أنه يجب أن يختار الأعلم بكتاب الله والشيخ الكبير الحليم الصبور المجد، ويجب الابتعاد عن الكسول الممل المتراخي والفتان[63].

وللإشارة فقد استمر هذا النوع من المؤسسات التعليمية في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي للبلاد، وأسهم بشكل كبير في انتشار التعليم والثقافة الإسلامية في

ردمد EISSN 2600–6324 ISSN 2170–1636 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

ربوع الوطن[64]، والدليل على ذلك توقيع السكان الجزائريين وإمضاؤهم في دفاتر الحالة المدنية باللغة العربية والفرنسية في السنوات الأولى من الاحتلال الفرنسي[65].

3- المدارس: تعتبر المدارس من المؤسسات العلمية التربوية الأكثر تطورا للظاهرة التعليمية، وهي تحتل أهمية كبيرة بعد المساجد وجوامع الخطبة والكتاتيب، وتمثلت وظيفتها الأساسية في نشر التعليم في أوساط المجتمع الجزائري.

3-1- مدرسة مازونة الفقهية: تعتبر مدرسة مازونة من أقدم المدارس الجزائرية التي تأسست في الجهة الغربية خلال العهد العثماني، والتي حققت شهرة علمية واسعة، بعد شهرة مدارس تلمسان خلال الفترة الزيانية، ويعود تاريخ تأسيس المدرسة إلى أواخر القرن السادس عشر الميلادي[66]، أما سنة التأسيس فقد وقع فيها اختلاف وتضارب في الآراء؛ فهناك من أرجعها إلى سنة 1582م[67]، والبعض الآخر إلى سنة 1591م[68]، وهناك من يضيف رأيًا آخر وهو سنة 1619م، وهو التاريخ الذي تشير إليه لوحة التدشين الموجودة بمسجد المدرسة[69]، وعلى عكس تاريخ تأسيس المدرسة الذي وقع فيه لبس واختلاف؛ فإن مؤسس المدرسة كان معلوما، وهو الشيخ محمد بن الشارف[70] سليل عبد العزيز البلداوي[71]، وهو من المهاجرين الأندلسيين الذين سكنوا مدينة مازونة، وأخذوا على عاتقهم منذ الوهلة الأولى مسؤولية تعليم الأمة الجزائرية وسبل تثبيت وتعزيز الهوية الإسلامية في أذهان الجزائريين، خاصة في ظل الظروف التي كانت تمر بها الجزائر خلال تلك الفترة.

عرفت المدرسة تطورا ملحوظا وإقبالا كبيرا للطلبة للدراسة بها نظرا لمكانتها العلمية المتميزة؛ وكان يقصدها الطلبة المتفوقون على أقرانهم في زوايا ومدارس بلدانهم كما هو الشأن عند أبي راس شيخ العلماء ومحمد بن علي السنوسي الذي تعتبر حركته من أهم الحركات الإصلاحية والتجديدية في بلاد المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء ومصطفى الرماصي[72]، إضافة إلى علماء آخرين أمثال العلامة الفقيه عبد القادر بن المختار الخطابي المجاهري دفين مصر سنة 1336هـ، ومؤلف كتاب "الكوكب الثاقب في أسانيد الشيخ أبي طالب"[73]، والشيخ عدة بن غلام الله مجدد الطريقة الشاذلية ومؤسس الزاوية في جبل محنون بنواحي تيارت، ومنهم أيضا محمد بن عالم قاضي منطقة بركان، والمأمون بن العالم باش عدل وجدة بالمغرب الأقصى[74]، وقد

تزايد عدد الطلبة الوافدين على المدرسة مع مرور الزمن، وكلهم يتلقون المساعدات والكفالة التامة من طرف المواطنين، وكانوا يأتون من ندرومة ووجدة وفقيق والونشريس والمدية[75]. كما تميزت مدرسة مازونة أيضا بكثرة أعلامها ومشايخها، وغدا التعليم فيها على درجة كبيرة من الأهمية، حيث تجاوزت شهرتها حدود منطقتها وأصبحت الوجهة الوحيدة للدارسين والراغبيين في العلم والمعرفة، الشيء الذي ضمن لها الاستقرار والمواصلة في التلقين، ومن أشهر مدرسيها عائلة آل هني[76]، وهي أسرة علمية عريقة في مازونة توارثت مهنة التعليم والتدريس أبا عن جد منذ تأسيس المدرسة إلى غاية زوالها، وكانت الدعامة الأساسية لاستمرارية المدرسة، وذلك بتزويدها بالنخبة العلمية، ومن أهم علمائها نذكر الشيخ أبو طالب محمد بن علي بن الشارف المازوني، وعبد الرحمان بن علي بن الشارف، ومحمد الصادق الحميسي، وهني بن محمد أبو طالب، ومصطفى بن هني، وأبو العباس أحمد بن هني.

إلى جانب هؤلاء العلماء والمدرسين ذكر أبو راس الناصري في كتابه "فتح الإله" ثلة من شيوخه الذين درس على أيديهم في مدرسة مازونة، ومن جملتهم الشيخ ابن علي ابن الشيخ عبد الله المغيلي، والشيخ العربي بن نافلة وابنه أحمد والشيخ محمد الصادق بن أفغول وابنه الشيخ محمد والشيخ إسماعيل ومحمد بن عبد القادر والشيخ محمد ابن أعوالي الزلماطي[77]. من هذا المنطلق تتبين لنا الأهمية الكبيرة التي تبوأتها مدرسة مازونة في العهد العثماني.

2-3- المدرسة المحمدية: كانت المدرسة المحمدية في طليعة المدارس العلمية في بايلك الغرب، وهي تنسب إلى مؤسسها الباي محمد بن عثمان الكبير الذي بناها إلى جانب الجامع الأعظم سنة 1196هـ/1781م[78]، يقول أبو راس في شأنها: "...المدرسة المحمدية في أم عسكر نسبة إلى بانيها أبي الفتوحات المنصور بالله سيدي محمد ابن عثمان فاتح وهران مؤلف في سيرة فتحه لها هذا الكتاب..."، وتسمى مدرسة الحايطة كما ورد على اللوحة التذكارية للجامع الأعظم[79]، وأشار إليها المزاري في كتابه عرضا حيث قال: "وبنى رحمة الله الجامع الأعظم قليل الوجود بالعين البيضا بل من المعسكر، وأحاط به المدرسة وتاريخ بنائه للمدرسة مكتوب بجانب محرابه، ونسيته لطول العهد..."[80]، ويعود تأسيس مدرسة معسكر (المحمدية) في إطار سلسلة الإنجازات

الثقافية والحضارية التي كانت تشهدها المدينة باعتبارها العاصمة السياسية للإيالة الغربية، وكان تعميرها وترقيتها إلى مصاف المدن الكبرى ضرورة حتمية، لذلك شرع الباي محمد الكبير في تدعيم القطاع العلمي والثقافي للمدينة بدءً ببناء المؤسسات العلمية التي كانت شبه منعدمة بها.

وهي تعد من أهم المعاهد العلمية التي ضمت أساتذة أكفاء متفرغين لمهنة التعليم لا غير إلى جانب الآلاف من الطلبة والتلاميذ الذين سارعوا إلى الإقبال إلى العلم بلهف شديد[81]، ذكر ابن زرفة صاحب الرحلة القمرية بشأنها أنها كانت عبارة عن حلم بين الخواص والعوام[82]، وهي أيضا المدرسة التي وصفها ابن سحنون الراشدي بقوله: "وكاد العلم يتفجر من جوانبها"[83]،كما خصها الشاعر الجزائري أحمد بن محمد بن علال القرومي بقصيدة رائعة إثر زيارته لمدينة معسكر وإعجابه بهذه المؤسسة العلمية وجامعها الأعظم، ومما جاء فيها[84]:

تحويه مدرسة غدت آثارها تحييه بالعلم الشريف الأشعري
تمحي رسوم الجهل من ألواحه تمحي شمائله من الزور السري

أنفق الباي محمد الكبير عليها المال الكثير، واستجلب لها المياه وأوقف لها الأوقاف، وعيّن لها مدرّسين أكفاء[85] أمثال محمد بن عبد الله الجيلالي الذي ولاه إدارة المدرسة ومحمد المصطفى بن عبد الله الدحاوي والطاهر بن حواء[86].

لقد أفلح الباي محمد الكبير بإنشائه لتلك المدرسة وتشجيعه للمؤلفين من أن يجعل من مدينة معسكر عاصمة علمية كبيرة تنافس العواصم الأخرى في القطر الجزائري كمدينة الجزائر وقسنطينة.

وبلا شك فقد نتج عن تأسيس هذه المؤسسة العلمية في الوطن الراشدي آثار إيجابية كبيرة أدت إلى ازدهار النشاط العلمي وانتشاره بشكل واسع في حاضرة معسكر وما جاورها، ونستشف ذلك من خلال فطاحل العلم والفكر الذين اقترنت أسماؤهم بهذه المدرسة من أمثال محمد بن عبد الله الجيلالي ومحمد بن زرفة الدحاوي والطاهر بن حوا وعبد القادر المشرفي وأبو سحنون الراشدي وغيرهم كثير[87]، والذين كانوا وراء تكوين وإعداد الكثير من الطلبة ورجالات العلم.

نتيجة للأعمال والخدمات التي قدمتها المدرسة المحمدية بمعسكر نالت شهرة كبيرة وسمعة واسعة في البلاد ما جعل علماء تلك الفترة يشيدون بها ويعتبرونها من بين أبرز المدارس الهامة والكبرى في الجزائر خلال القرن الثامن عشر[88]. وهكذا يتبين أن المدرسة المحمدية استطاعت أن تقوم بدور كبير في مجال المنظومة التعليمية بالمنطقة الغربية إلى جوار المدارس الأخرى.

3-4- مدرسة خنق النطاح: اصطلح على تسميتها أيضا مدرسة الباي- محمد الكبير- نظرا لكونه كان وراء تأسيسها سنة 1207-1208هـ/1793م[89]، وذلك بعد استرجاع مدينة وهران، كمبادرة جليلة من أجل إعادة طابع المدينة الإسلامي الذي انطفأ طيلة الوجود الإسباني، الذي قضى على كل رموز الهوية الإسلامية فيها على حد تعبير ابن سحنون الراشدي حيث قال: "وانفرد الكفرة بعقليته المذكورة (يقصد مدينة وهران) يكرهها على البغاء، حتى ألفته كانت تصغي لأباطيله أشد الإصغاء، ونسيت الإسلام شغلا ببعلها الجديد، ورضيت بالناقوس عوضا عن الآذان، والتثليث بدلا من التوحيد، ونسخت أسماء مساجدها فسميت بيعا، وقد كان يقال فيها الله أحد فأمست يعتقد فيها كون الآلهة شيعا، واشتد كلفها بتمسكها الواهي فصارت ترمي الإسلام بأعظم الدواهي، فيا لله كم للإسلام من حيرة أمام تلك الأسوار، وكم للمسلمين تلقاءها من وقفة دهشية آلت بهم إلى البوار،ما دنوا منها للدفاع إلا دفعهم مدافعها وانثالت عنهم مضارها وانقبضت منافعها، وامتد الحال على ذلك الحال إلى أن قيض الله له الأمير الذي لم يزل لكل أكرومة مفيضا ولانتهاز فرص الخير واقتناص شوارد المجد متقيضا وعلى إقامة الحق مثابرا..."[90]، وعلى إثر ذلك عزم الباي محمد الكبير على إنجاز وتحقيق الكثير من المشاريع التنموية الهادفة إلى ترقية المدينة وتزويدها بمختلف المؤسسات الحيوية، وقد أخذت هذه المؤسسة العلمية حظا هاما في هذا الإطار، فمدرسة الباي تعد مثالا بارزا على هذه السياسة الراشدة االساعية إلى تأطير منظومة تعليمية متكاملة في بايلك الغرب انطلاقا من مدارس تلمسان العتيقة ومدرسة مازونة ثم معسكر ومن بعدها وهران، وبالتالي تثبيت أواصر العلم والثقافة في الغرب الجزائري.

تناولت بعض المصادر التاريخية تاريخ هذه المؤسسة العلمية؛ فقد أفادنا الزياني بنص حول ذلك قائلا: "وبنى المدرسة العظيمة بخنق النطاح التي بها ضريحه وتعرف للآن بالمدرسة"[91]، ويورد صاحب طلوع سعد السعود في هذا الشأن: "وكان محبا للطلبة، ولذلك بنى لهم المدرستين: الأولى بمعسكر والثانية بوهران"[92].

ومن المؤكد أن مدرسة الباي كانت على درجة كبيرة من الأهمية العلمية، ولذلك لا غرابة أن تغص بطلبة العلم والمعرفة من داخل المدينة أو من خارجها، خاصة بعد اتخاذها عاصمة لبايلك الغرب من جهة وتراجع دور مدرسة معسكر من جهة أخرى. ومن أبرز العلماء الذين درّسوا بهذه المدرسة، وساهموا في جبر بعض الكسور التي أصابت الحياة العلمية مع أواخر العهد العثماني، الطاهر المشرفي ومحمد بن عبد الله سقاط وأحمد بن التهامي وخليل الفرندي وعبد القادر المستغانمي ومحمد بن يوسف العامري التراري ومحمد بن سعد التلمساني ومحمد بن صابر المستغانمي ومحمد بن عامر البرجي ومحمد بن حسن[93].

بالإضافة إلى الدور العلمي والثقافي فقد حملت المدرسة في أرجائها ضريح الباي محمد الكبير كرمزية تاريخية لأعماله العظيمة وخدماته الكبيرة للعلم والعلماء في المنطقة الغربية، وذلك بعد وفاته سنة 1213هـ/1798م ببلدة "صبيح"، وهو في طريق عودته من الجزائر[94]، إلا أنه وفي بداية الاحتلال الفرنسي اتخذ الجنود مكان المدرسة حماما يستحمون فيه، ولهذا السبب طمس قبر الباي محمد الكبير.[95]

4 - المكتبات: تعد المكتبات فضاءات معرفية هامة؛ فهي لاتقل أهمية عن سابقيها من مساجد وكتاتيب ومدارس، بل هي جزء لا يتجزأ منها، لارتباط هذه المؤسسات بها؛ فهي خزانات الكتب ومنبع العلم، وقد أسهمت المكتبات عبر الزمن وخلال العهد العثماني في إثراء الحياة العلمية بالجزائر عموما، ويمكن إرجاع كثرة الكتب والمكتبات في الجزائر خلال العهد العثماني إلى كثرة النسخ والتأليف خاصة خلال القرن الثامن عشر الذي شهد قفزة نوعية لا سيما في الغرب الجزائري، أين أولى الباي محمد بن عثمان الكبير عناية كبيرة للعلم والعلماء[96]، وعمل على تشجيع حركة النسخ والتأليف[97]، الأمر الذي أدى إلى انتشار المكتبات وتنوعها إلى عامة وخاصة.

أما المكتبات العامة فهي المكتبات التابعة للمؤسسات الدينية والتعليمية كالمساجد والزوايا والمدارس، وقد كان عدد الكتب يقل ويكثر بها على حسب كفاءة مسيريها وأهمية المؤسسة والوقف الذي ينفق عليها[98]، ومن أشهر هذا النوع في الغرب الجزائري مكتبة المدرسة المحمدية التي أسسها الباي محمد الكبير بجوار الجامع الأعظم، والمجهزة بكل الوسائل التعليمية والتثقيفية، ولاسيما قاعات المطالعة التي قصدها الطلبة والقراء[99]، ومكتبة زاوية الشيخ إبراهيم التازي بوهران[100]، ومكتبة زاوية القيطنة بمعسكر أو مكتبة الشيخ محي الدين التي احتوت على كتب كثيرة تثقف بها الأمير عبد القادر[101]، ومكتبة مدرسة مازونة التي كانت تضم كتبا جمة استفاد منها الطلبة والأساتذة[102].

أما المكتبات الخاصة فيعود أغلبها إلى البيوتات التي نالت شهرة علمية، وضخامة مكتباتها يرجع لاستمرارها الطويل، بحيث يرث الأبناء الآباء[103]، وكان عددها كثير جدا في فترة الجزائر العثمانية، ومن أبرزها في مدن الغرب مكتبة الباي محمد الكبير بمعسكر، والتي احتوت على شتى المخطوطات والمؤلفات القيمة،كما كان الباي يشجع عملية النسخ والتأليف وذلك من خلال تكليف العلماء والطلبة بنسخ المخطوطات لاسيما النادرة منها لتكون في متناول الجميع وتحت تصرفهم، وكان ينفق المال الكثير في شراء المخطوطات النفيسة ليضعها في خزانته أو يحبسها على طلاب العلم والمعرفة، كما كان يحب العلماء ويعتني بهم بالإضافة إلى ذلك كان مولعا بالمطالعة وقت فراغه، وكان فقيها مثقفا مطلعا على تاريخ العرب وأيامهم[104].

كما كانت مكتبة أبي راس الناصري من المكتبات الضخمة، وهي تعرف باسم "المصرية أو مكتبة المذاهب الأربعة"[105]، وتضم أنفس الذخائر والعديد من المخطوطات النادرة، وكذا المؤلفات التي ألفها أبوراس نفسه، وقد كانت هذه المكتبة قبلة للكثير من العلماء والطلبة من داخل الوطن وخارجه خاصة من فاس ومكناس وتونس وليبيا[106]، وتعتبر مكتبة مدرسة المشارف من بين أهم المكتبات بمعسكر حيث يعد شيخها عبد القادر المشرفي إمام الراشدية من أبرز علماء عصره لتضلعه في علمي الأصول والفروع، ومواظبته على تعليم العلوم بزاويته بالكرط[107]. وعموما كانت مكتبات تلمسان ووهران ومعسكر ومازونة وندرومة وغيرها مراكز علمية هامة ببايلك

ردمد EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

الغـرب، وكانـت عديـدة ومتنوعـة الكتـب والمخطوطـات باتفـاق أغلبيـة المصـادر التاريخية[108].

5- **الزوايـا:** مثلـت الزوايـا عبـر مراحلهـا التاريخيـة مدرسـة لتكـوين الـنشء ومعهـدا لتحصيل العلوم الدينية واللغوية ومجالس لتثقيف العامة من الناس، كما حفظت للجزائر قيمها الروحية والوطنية[109]، وخير مثال على ذلك زوايا العهد العثماني، إذ يعتبر الدكتور أبو القاسم سعد الله أن من أبرز مميزات العهد العثماني في الجزائر انتشار الطرق الصوفية وكثرة الزوايا المخصصة لهذه الطرق والمذاهب الصوفية[110]، ويبدو أن عدد الزوايا في غرب الجزائر كان أكثر من شرقها[111]، ولعل ذلك يعود إلى استمرار الجهاد في الغرب دون الشرق، والى كثرة الزوايا والمرابطين في المغرب الأقصى[112].

ومن أشهر الطرق الصوفية والزوايا في المجال الجغرافي المدروس نذكر الطريقة القادرية والطريقة الدرقاوية والطريقة التيجانية[113]، أما أشهر الزوايا في المدن زوايا تلمسان؛ فقد ذكر ابن مريم في كتابه كثيرا من صلحاء وأولياء تلمسان، وأضاف محمد بن سليمان قائمة أخرى منهم في كتابه "كعبة الطائفين"، وذكر محمد الموفق المعروف بابن حواء زوايا مستغانم وأحوازها في إطار تعريفه بصلحاء واد الشلف في أرجوزته "سبيكة العقيان"، كما ذكر محمد الجوزي في كتابه "العقد النفيس" أولياء وزوايا غريس والوطن الراشدي[114]، بالإضافة إلى زوايا مازونة ووهران[115].

لقد استقطبت هذه المراكز الثقافية العديد من الطلبة الذين أصبح لهم شأن كبير في خدمة الثقافة العربية الإسلامية، كما كانت المنطقة تعج بالعديد من العلماء المتصوفة الذين ساهموا في إثراء الحياة العلمية بهذه الزوايا[116]، ومن بين الزوايا الكبرى التي ذاع صيتها في الأقطار، وأضحت مؤسسة علمية هامة نذكر:

5-**1- زاويـة القيطنـة**: تعتبر زاوية القيطنة بمعسكر من أهم المؤسسات العلمية وأشهرها في بايلك الغرب، تأسست هذه الزاوية بمنطقة القيطنة[117] الواقعة بسهل غريس على يد مصطفى بن مختار جد الأمير عبد القادر[118]، بعد عودته من بغداد[119]، فقد ذكر الشيخ الطيب بن مختار الغريسي عن رغبة الشيخ مصطفى بن مختار في تأسيس زاوية له، بقوله: "... سافر إلى بغداد بقصد التبرك بمشايخها وزيارة ضريح

الشيخ مولانا عبد القادر الجيلاني؛ فزاد في مسجد الشيخ زيادة تعرف بزيادة الشيخ مصطفى المغربي، ولما رجع إلى معسكر أسس لنفسه زاوية بدرب الحمام فأقام بها ما شاء الله معتكفا على تدريس العلم وتلقين الأذكار"[120]، ويؤكد الأمير عبد القادر ذلك في مذكراته قائلا: "وكانت القيطنة زاوية محطا للزائرين في حياة الجد الذي ابتناها إلى أن توفي..."[121]، ومع مرور الزمن تطورت هذه الزاوية أكثر وأصبحت تلقب بمعهد القيطنة نظرا لتوافد العلماء والطلبة عليها[122]، وبخاصة في عهد الأمير عبد القادر ووالده[123].

وقد جمعت هذه المؤسسة العلمية بين جميع مراحل التعليم من أدنى مرحلة إلى أعلاها، كما كانت تعقد بها سبع حلقات لجلسات العلم والتدريس[124]، ومن العلماء الذين درسوا بها العلوم الشرعية من فقه وحديث وعلم كلام[125] الحافظ أبو راس حيث أكد ذلك بقوله: "وذهبت للقيطنة وقد اجتمعت جموع من الطلبة؛ فقرأت لهم الجزء الأول أربع مرات والثاني كذلك؛ فتعجب الشيخ وبهت وقال للباي: إنما اختبرته على من هو أكبر منه من تلامذتي، لأنه فيه النفع والقريحة"، كما كان الشيخ عبد القادر المشرفي من الذين اختارهم الشيخ مصطفى بن مختار الراشدي للتدريس بهذا المعهد وأخذ عنه[126]، وعلى عادة ذلك العهد فقد كان شيوخ هذا المعهد يكرمون الطلبة النجباء ويعظمونهم كما فعل الشيخ المشرفي مع تلميذه أبو راس بقوله: "... وصار الشيخ يعظمني- على صغري- وأعطاني القمح والشعير والدارهم والسمن والزيت والكباش فجزاه الله خيرا"[127]، كما درس بها أبناء أسرة الشيخ مصطفى بن المختار، وفي مقدمتهم الشيخ محي الدين وابنه الأمير عبد القادر الذي اشتهر بنبوغه العلمي منذ الصغر؛ فقد كان يكتب ويقرأ في سن الخامسة من عمره، وأصبح طالبا في الثانية عشر، وهي السنة التي كان فيها متمكنا من القرآن الكريم والحديث وأصول الشريعة، الأمر الذي خوله بعد سنتين من الحصول على لقب الحافظ[128]، كما تصدر للتدريس في معهد الأسرة إلى جانب والده محي الدين[129].

زيادة على ذلك استقبلت المؤسسة العديد من الطلبة، بلغ عددهم ما بين خمسمائة وستمائة طالب[130]، ويؤكد كثرتهم قول أبي راس: "وذهبت للقيطنة وقد اجتمعت جموع من الطلبة"[131]، وكانوا يقصدونها من أنحاء مختلفة من داخل البلاد، كعلماء بني راشد الذين قصدوها بغية التدريس والاستفادة؛ فقد أخبر أبوراس أنه

التحق بشيخه عبد القادر المشرفي الراشدي للأخذ منه رغم تصدره للتدريس، وكذا تنافس الشيوخ عليه بمعسكر[132]، ومن خارج البلاد كطلبة مراكش والسوس وشنقيط ومن النواحي الإفريقية وحتى من الأراضي المصرية[133]، ويعود ذلك لشهرتها العلمية المعترف بها في الأوساط العلمية الأخرى، كما تخرج من هذه الزاوية الكثير من علماء غريس الذين كانت لهم هجرة إلى فاس وتونس ودمشق وغيرها، أمثال الشيوخ محمد بن الخضر المهاجي وعبد الله المشرفي وعبد القادر بن محمد الهزيل[134]. كما كانت هذه الزاوية مقصدا للفقراء وأبناء السبيل وكل من دخل القرية.[135]

6- **الرباطات:** تعتبر الرباطات من الأماكن التي ساهمت في نشر المعرفة وتدريس العلوم من تحفيظ للقرآن وعلوم متصلة بالتصوف إلى جانب وظيفتها العسكرية، وقد ذكر الأستاذ ناجي جلول أن هذه المؤسسات كان لها دور تعليمي هام، كما أنها ورثت من الحركة الصوفية وعن مؤسسة الزوايا الوظيفة التعبدية ورياضة النفس والوظيفة التعليمية عند استقرار العديد من العلماء داخل الرباطات زمن الهجرات وزمن الشدة[129].

يعرف الشيخ المهدي البوعبدلي الرباط "بالملازمة في سبيل الله، أصلها من ربط الخيل، ثم سمي كل ملازم لثغر من ثغور الإسلام مرابطا فارسا كان أو راجلا، وهي تنشأ لحماية البلاد وحراستها من هجومات الأعداء، وكذلك تطلق على البقاع التي تؤسس لاجتماع المنقطعين له والمتعبدين الذاكرين، وكذلك على المعتكفين لتعلم الدين وتعليمه"[130]، وقد عرفت مؤسسة الرباط تطورا واضحا في مسارها؛ فقد اعتبرت سنة 181هـ-797م تاريخا هاما في حركية التعليم،إذ أصبح الرباط مدرسة للرحلة العلمية تشد إليه الرحال باعتباره مؤسسة ثقافية ثانوية مكملة للبرامج التربوية والتعليمية التي بدأها المسجد[131]، ويفصل محمد الأمين بلغيث في دور الرباط وأثره على الحياة الثقافية بقوله: "إن الرباط في الأصل ثكنة عسكرية أريد بها الدفاع عن ثغور المسلمين في المشرق، وأما الرباط المغربي فكان إلى جانب مهمته الحربية مكانا للعبادة ومعهدا تدرس فيه شتى العلوم ولا سيما العلوم الدينية[132].

وبناء على ما تقدم نستنتج أن هذا النمط من المؤسسات واصل مهمته الجهادية و التعليمية إلى غاية العهد العثماني خاصة في ظل الصراعات والحروب مع الدول

الأوروبية، وفي مقدمتها صراع الجزائر مع الأسبان الذي استمر قرابة ثلاثة قرون، وقد انحصرت الرباطات في إيالة الجزائر خلال هذه الفترة في الغرب الجزائري بصفة معينة، أين ظل الإسبان متمركزين في وهران والمرسى الكبير، وحيث الخطر كان داهما بشكل كبير، وقد أسهمت هذه الرباطات بشكل كبير في تحرير مدينة وهران والقضاء على الأعداء نهائيا من المنطقة[133].

وكما أشرنا فإن هذه الرباطات كانت منتشرة بكثرة في بايلك الغرب وبخاصة قرب مدينة وهران، وذلك راجع لطبيعتها الجبلية والبحرية[134]. وتجدر الإشارة في هذا الشأن إلى أن مدينة وهران كانت قبل الاحتلال الإسباني تتوفر على عدد من الرباطات يرابط فيها الطلبة والعلماء للتعبد والحراسة، ومن بينها رباط قصر الأمحال (القصر الأحمر) ورباط طلب الفتح[135].

ونظرا لخصوصية هذه المؤسسة؛ فقد ساهم العديد من البايات الذين توالوا على حكم المنطقة الغربية على إحياء وترسيخ دور الرباط في الدفاع عن أرض الوطن واسترجاع مدينة وهران والمرسى الكبير، ومن هؤلاء الباي السيد شعبان[136] والباي مصطفى أبو الشلاغم بن يوسف المسراتي الذي استطاع فتح وهران سنة 1119هـ-1708م[137]، وكذا الباي الحاج عثمان المعروف بعصمان الذي كانت له العديد من المحاولات لغزو وهران وفتحها، ويؤكد ذلك قول الزياني: "وكم له (رحمة الله) من غزو ورباط على (وهران)، ولم يمن الله بفتحها على يديه بل دخر فضل ذلك لمن هو محبوب لديه وكانت وفاته سنة 1170هـ"[138]، وفي القرن الثامن عشر قام الباي محمد بن عثمان الكبير بإعادة بعث وتدعيم هذه المعالم مثل رباط وهران المسمى إيفري بجبل المائدة، وأنزل به الطلبة والمدرسين وقراء القرآن ليثبطوا همة الإسبان، ويحولوا بينهم وبين ما يأتيهم من الخارج من أسلحة ومؤن، وذلك استعدادا لفتحها[139]، وبالفعل لعبت هذه الرباطات دورا كبيرا في تحرير مدينة وهران والمرسى الكبير خلال الفتح الأول والثاني، ومن أشهر علماء الرباط نذكر في الفتح الأول مصطفى الرماصي وأبو الحسن العبدلي، أما في الفتح الثاني فكان بوجلال والطاهر بن حوا ومحمد بن علي المازوني وولده، وكذالك محمد المصطفى بن زرفة، وقد أقاموا تحت رئاسة

بوجلال عند جبل المائدة قرب وهران للتضييق على الكفار، وكانوا هناك يدرسون الطلبة ويحاربون أيضا[140]. وهكذا كانت الرباطات قلاعا علمية وحربية في آن واحد.

الخاتمة: من خلال ما سبق ذكره يتبين لنا أن بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني وتحديدا الفترة الممتدة من 1700 إلى 1830م عرف عدة نماذج من فضاء المؤسسة العلمية في أرجاء مدنه؛ فقد كانت كل مدينة تزخر بمؤسساتها العلمية من مساجد وكتاتيب ومدارس ومكتبات وزوايا ورباطات، والتي مثلت مراكز إشعاع علمي وثقافي في المنطقة، كما أسهمت إسهاما كبيرا في تفعيل مسار الحركة العلمية وتنميتها، الأمر الذي أدى إلى خلق جو علمي معرفي رائد كانت له العديد من الآثار الإيجابية والمثمرة على أفراد المجتمع الجزائري، ومن أبرزها ظهور علماء متميزين خدموا حقل المعرفة العلمية بمختلف أصنافها وفروعها، كما أصبحت حواضره قبلة للدارسين والمهتمين بدروب العلم والمعرفة خلال العهد العثماني.

الهوامش:

1- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري(16-20م)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981، ج1،ص223/أحمد مريوش وآخرين،**الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954،الجزائر،2007، صص12-22.

2- ناصر الدين سعيدوني، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر، تونس، طرابلس الغرب)** من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري، السادس عشر الى التاسع عشر ميلادي، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، تصدر عن مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، العدد31، 2010، ص72.

3- العيد مسعود، **حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني**،مجلة سيرتا، العدد الثالث ،قسنطينة ،ماي،1980،ص61

4- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق،ج1،ص273

5-Venture De Paradis, **Alger au 18ème siècle (1788-1790)** ,Mémoire ,notes et observation d'un diplomate-espion,Présentation par AbedrrahmaneRebahi,Edition Grand Alger Livre,alger,2006,p216

ذكر فونتير دي بارادي وجود اثنا عشر جامعا كبيرا في مدينة الجزائر مع وجود الكثير من المساجد الأخرى وقد كان الجامع الكبير يضم مفتيان وقاضيان، ينظر:

6-Venture De Paradis,op.cit,pp215,216

7- أورد لوكيل أسماء الأحياء الخمسة التي كانت موجودة بمازونة ففي الشمال يقع حي العربي المعروف بأولاد السايح وتقطنه أفراد هذه القبيلة وفي الشرق يقع حي بوماط وتسكنه فئة الكراغلة و الموظفين الإداريين في تلك الفترة ،وفي الجنوب يقع حي تسيارت أين يقطن السكان الأصليين وأغلبهم حرفيون ويشتغلون في التجارة والصناعة وفي الغرب يقع حي القصبة أو المدينة التركية القديمة و بودلّول أقدم حي يسكنه اليهود الى جانب السكان المحليين، ينظر.

Loukil.Y,**Mazouna,ancienne capitale du Dahra** ,Imprémerie Algérienne,Alger,1912, ,p12

8- نقلا عن فتيحة الواليش،**الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر**، إشراف مولاي بلحميسي، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث،جامعة الجزائر،1993-1994،أنظر:

Berque Jacques, **Retour à Mazouna**, p135-

9- أبوالقاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ،ج5،ص104

10- ابن سحنون الراشدي، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تحقيق: المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة، الجزائر، 2013، ص135.---- 11- نفسه، ص135.---- 12- الزياني محمد بن يوسف، **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة، الجزائر، 2013، ص255.---- 13- المصدرنفسه، صص256-257.

14-Jarray Fathi, **Notes Préliminaires sur le cadran solaire de la Grande Mosquée de Mascara**, Publication du laboratoire des recherches sociologiques et historiques, Mascara, Imprimerie El Rachad, Algérie, 2014, p, 267

15- **ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق،ص135**

16- هو من أصول تركية وذلك لكنيته "سارمشق "التي تعني باللغة التركية اسم نبتة معروفة وهي "كرمة بيضا"، ولد بتلمسان وعاش بمدينة الجزائر، ينظر:

-Leclerc,(ch**), Inscriptions arabes de Mascara « Mosquée d'Ain Beidha** »in Revue Africaine, volume4, ,Libraire, Editeur, Alger,1860, pp43,46

17- نسبة الى مؤسسه الباي محمد الكبير، ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص135

18- سمي الجامع "العين البيضاء" والواقع على بعد 300متر من السور الشرقي للمدينة نسبة لعين كائنة أسفل السور ومبنية في ارض يضرب لونها الى البياض، وحسب قول السكان المحليين فان اسم العين البيضاء كان يطلق على كامل الحي الممتد بين العين والجامع، وهذا الأخير أصبح مخزن قمح بعد الاحتلال الفرنسي ولم يستعد شرعيته الدينية حتى سنة 1905م، ويشير أحد الكتاب الى هذه المنطقة بكونها قسم من أقسام مدينة معسكر التي يقول عنها أنها تنقسم الى أربعة أقسام وهي معسكر وسط المدينة وركوب اسماعيل وبابا علي وعين البيضا وتعتبر الأقسام الأخيرة بمثابة ضواحي مدينة معسكر.

-Janet Louis,Promenades pittoresques,Libraire,Editeur,Paris,1840,p148

19- فيه بايع زعماء منطقة غريس والحشم الأمير عبد القادر أميرا للجهاد والمقاومة أوائل عام1832، ينظر يحي بوعزيز المساجد العتيقة في الغرب الجزائري،دار البصائر،الجزائر،2009، ص212

20- نسبة لقبر سيدي حسن الذي نقلت السلطات الفرنسية قبره من مكان غير بعيد من المسجد الى جواره، وشجعت على تسميته باسم سيدي حسن من ذلك التاريخ حتى يتسنى لها طمس التسمية القديمة للمسجد وهي مسجد المبايعة للأمير عبد القادر، يحي بوعزيز المرجع السابق، ص214.--21-ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق،ص137

22- اختلفت المصادر التاريخية حول تاريخ وقوع مدينة مستغانم تحت السيطرة المرينية ، حيث قامت هذه الأخيرة بتوسيع نفوذها وحدودها لتشمل بعض المدن المغرب الأوسط وذلك بعد سيطرتهم على مدينة تلمسان سنة 1352م-1359 /753-760هـ، فهناك من أرجعت ذلك الى سنة 1307م والبعض الآخر الى مابين سنة 1336 أو1337م، فيما اعتمد البعض الآخر على تاريخ تأسيس الجامع الأعظم وهي سنة 1341، ينظر

-Moulay Belhamissi, **Histoire de Mostaganem (des origines à nos jours)** ,2ème Edition, SNED imprimerie Ahmed Zabana ,Alger,1982,p p37 ,38

23- رشيد بورويبة،الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر1979،ص91

24-يحي بوعزيز،المرجع السابق،ص184

25-المهدي بن شهرة، تاريخ وبرهان بمن حلّ بمدينة وهران، دار الريحانة للكتاب، الجزائر،2007، ص165

26-Camille Kehl,**Oran et l'Oranie avant l'occupation française**,L Fouque,Oran,1942,p41

27-المزاري،طلوع سعد السعود،تحقيق: يحي بوعزيز، دار البصائر، الجزائر،2009،ج1،ص275

28-يحي بوعزيز ،مدينة وهران عبر التاريخ،دار البصائر ،الجزائر ،2009،ص 94وينظر أيضا المساجد العتيقة...المرجع السابق،ص40

29-SaddekBenkkada,**Espace urbain et structure sosiale à Oran de 1792-1831**,Mémoire de Diplôme d'Etude Approfondies,Oran,1988,p150

30-ابن هطال، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري،نحقيق:محمد بن عبد الكريم،عالم الكتب،الجزائر،دت،ص28، المزاري ،المصدر السابق،ج1،ص294،يحي بوعزيز،المساجد العتيقة....المرجع السابق،ص46

31-الزياني ،المصدر السابق،ص265

32-مبروك مهيرس،المساجد العثمانية بوهران ومعسكر،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،2009،ص40

33-LespesFrance, **Oran ,étude de géographie et histoire urbaine**, Edition Bel Horizon,2003 ,p87

34-المزاري،المصدر السابق،ج1،ص296

35- L'Abbé Edmond Lambert, **L'Algérie (deux mois dans la province d'Oran**), Saint Sulpige, Paris,1877, p31,Lespes,op.cit,p87voir aussi,

-Henri-Léon fey,**Histoire d'Oran avant ,pendant et après la domination espagnole**,Lescane,Oran,1858 ,p271

36-المزاري ،المصدر السابق،ج1،ص296--37-مبروك مهيرس،المرجع السابق،ص38

38-Augustin Jacque Berque**, Ecrits sur l'Algérie**,Edi sud,La Calade,Aix en Provence,1986,p217

39-سعاد فوبال،**المساجد الأثرية لمدينة الجزائر**،دار المعرفة،الجزائر،2010،ص25

40-Saddek Benkkada,op.cit,p150

41- يحي بوعزيز ،المساجد العتيقة...،المرجع السابق،ص62 للمزيد من المعلومات حول ذلك ينظر شارل هنري تشرشل ،**حياة الأمير عبد القادر**،ترجمة:أبو القاسم سعد الله،الدار التونسية للنشر،تونس،1974،ص ص:42-44

42-Fey, op.cit,p27

43-Saddek Benkkada,op.cit,p151

44-المزاري،المصدر السابق،ص295

45-Marial(w),**La mosquée de Sidi Mohamed El Kebir** ,in Société de géographie et d'archéologie de la province d'Oran 13 ,1893,p154 --46- Lespes,op.cit,p88--47- Marial,op.cit,p154--48-L'Abbé Edmond Lambert,op.cit ;p31--49-Ibid ,p31

50–Fey,op.cit,p292

51-يحي بوعزيز،المساجد العتيقة في الغرب الجزائري....المرجع السابق،ص34--52-أحمد مربوش ، المرجع السابق، ص13

53- محمد رابح فيسة، المنشآت المرابطية في مدينة ندرومة (دراسة أثرية)، رسالة ماجستير في علم الآثار، جامعة الجزائر، 2004-2005، ص 66.54

54-أحمد قاسم،الكتاتيب في البلاد التونسية،المجلة التاريخية المغاربية، العدد89-90،منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات،تونس،1998،ص145

55-مختار العياشي،في تاريخ المدرسة التونسية خلاصة 32 قرنا من الكتابة والمعرفة والتعليم ،مركز النشر الجامعي ،تونس،2012،ص73

56-البحاثين.ج و د سورديل، معجم الإسلام التاريخي، ترجمة أ.الحكيم، الدار اللبنانية للنشر الجامعي، لبنان ،2009، ص797، خيرة بن بلة، زوايا ومدارس الجزائر،دراسة أثرية معمارية فنية، كراسك، الجزائر،2014،ص ص:95-96

57-الجامعي الفاسي،رحلةالفاسي،نقلا عن مولاي بلحميسي،الجزائر من خلال النصوص العربية والأجنبية، مجلة الثقافة،وزارة التعليم العالي والشؤون الدينية،العدد الثامن،الجزائر،1982،ص62

58- وليام شالر،مذكرات وليام شالر،قنصل أمريكا في الجزائر(1816-1824م)،تقديم وتعريب اسماعيل العربي،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر،1982،ص81.

59- Guy Pervillé,**Les étudiants algériens de l'université française 1880-1952**,Préface de Charles Robert Ageron,Edition du centre national de la recherche scientifique,Paris,1984,p16

60- مارسيل ايميريت، **الجزائر في عهد الأمير عبد القادر**، تر:عبد الحميد بورايو وحميد بوحبيب، دار الرائد للكتاب، الجزائر،2014،ص32،ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي،**الجزائر في التاريخ العهد العثماني**،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984، ج4،ص145،144

61-Eliaou Gaston, **Enseignement indigène en Algérie au cours de la colonisation(1832-1962)** ,France,2000,p42

62-البحاثين.ج و د سورديل، المرجع السابق، ص797

63-Mohamed Bencheneb**, Notion de pédagogie Musulmane**, Revue Africaine,1897 ,p281

64- Si Mohamed Ben Rehal, **Etude sur l' Application de L'Instruction Publique en pays Arabe**,Sosiété de Géographie et D'Archéologie de la province d'Oran,Le Fouque,1898,p117,123.

65-أحمد بن داود، **المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي في كل من الجزائر والمغرب من خلال التعليم(1920-1954)** أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران1، الجزائر،2016-2017، ص3

66-Moulay Belhamissi, **Mazouna une petite ville**, une **longue histoire**, Alger S.N.E.D,1982 ,p49

67- Edmond Grosclaude, **Mostaganem et son arrondissement**,Impremerie de l'Indépendant, Mostaganem,1892,p31

68-ناصر الدين سعيدونيوالشيخ المهدي بوعبدلي،الجزائر في التاريخ...المرجع السابق، ج4،ص196

69-جنان الطاهر،مازونة عاصمة الظهرة (ثغر حربي و مركز إشعاع حضاري)، مكتبة الرشاد، الجزائر،2005 ، ص96

70-محمد بن شارف البلداوي من النازحين الأندلسيين وهو مؤسس مدرسة مازونة ودرس بها 64سنة الى أن توفي سنة 1189هـ-1775م،أحمد بحري، حاضرة مازونة خلال العصر الحديث 1500-1900، رسالة دكتوراه في التاريخ والحضارة الاسلامية، جامعة وهران،2012-2013،ص217--71-ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق،ج4،ص196

72-ميلود قيسوم، مدرسة مازونة، مسيرة علمية تزيد عن أربعة قرون، المجلة المغاربية للدراسات الحديثة، العدد 6،جامعة الجيلالي اليابس،سيدي بلعباس، داركنوز للإنتاج والنشر والتوزيع، الجزائر،2013، ص33

73-ناصر الدين سعيدوني،المرجع السابق،ج4،ص197--74-أمين بلغيث،مدرسةمازونة الفقهية وآثارها خلال القرن التاسع هجري الخامس عشر ميلادي،مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية،العدد01،جامعة الجزائر ،2004،ص ،.ص128.

75-MoulayBelhamissi,op cit,p49

76- من بيوتات العلم والشرف في مازونة المتصل نسبهم الهاشمي بالأمير عبد القوي من ملوك مغراوة قد تأصل له الشرف وعرفت له عراقة الرياسة العلمية والدراسة وتوارت ذلك أفراد عائلته ولاية التدريس منذ قرون .ينظر المهدي بوعبدلي ،تاريخ المدن،،إعداد وجمع،عبد الرحمن ديب،عالم2المعرفة ،الجزائر،2013صص192،191

77- أبو راس الناصري، فتح الاله ومنته في التحدث بفضل ربي نعمته،،تحقيق:محمد بن عبد الكريم،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، صص 46-48.---- 78- ابن سحنون الراشدي ،المصدر السابق،ص138.

79-Leclerc,op.cit,p44

80-المزاري، المصدر السابق،ج1،ص296--81-صالح فركوس، تاريخ الثقافة الجزائرية من العهد الفينيقي الى غاية الاستقلال814ق.م-1962م)،دارأيدكوم للنشر والتوزيع، الجزائر،2013،ج1 ،ص516

82-ابن زرفة الدحاوي، الرحلة القمرية في السيرة المحمدية، تحقيق: حساني مختار، مختبر المخطوطات، الجزائر،2003،ص209--83- ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق،ص136--84- المصدر انفسه،ص119

85-بلبروات بن عتو، الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري1779-1797م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة وهران،2002،ص221

86-محمد بن لأمير عبد القادر،تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، تعليق: ممدوح حقي، دار اليقظة العربية، بيروت،1964، ص32--87-بلبروات بن عتو، المرجع السابق،ص221

88-شرف عبد الحق،تراجم لبعض علماء مدرسة الباي بوهران،عصور مجلة التاريخ والحضارة ،العدد 21،جامعة وهران ،2013،ص158--89- ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص138--90-المصدر نفسه، ص96

91-الزياني، المصدر السابق،ص267--92-المزاري، المصدر السابق،ج1،ص296--93- عبد الحق شرف، المرجع السابق، ص ص:159-162--94-ابن هطال ،المصدر السابق، ص24.

95–Marial(w),op.cit ,p154

96- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق،ج1،ص286--97–صالح فركوس،المرجع السابق، ج1،ص543

98- لزغم فوزية،البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي، رسالة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2014،ص407--99- صالح فركوس،المرجع السابق،ج1،ص553

100- أبو القاسم سعد الله ،المرجع السابق،ج1،ص297--101-نفسه،ج1،ص ص:298-299--102-نفسه،ج1، ص299

103- لزغم فوزية،المرجع السابق،ص408----- 104- ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق،ص155

105- لاحتوائها على مؤلفات المذاهب الأربعة، أبوراس الناصري، فتح الاله....المصدر السابق،ص74

106- المهدي بوعبدلي،الحياة الثقافية بالجزائر ،إعداد وجمع:عبد الرحمن ديب،عالم2المعرفة،الجزائر،2013،ص56

107- عبد الحق شرف، العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي ،حياته وآثاره،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر،2012،ص63 --

108- صديقي بلحاج، المكتبات الجزائرية في القطاع الوهراني خلال الفترة1830-1954، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الثقافي والتربوي، جامعة وهران، الجزائر،2011-2012،ص33

109- محمد برشان، الحركة العلمية في الزوايا، مجلة دراسات انسانية واجتماعية، العدد2و3،جامعة وهران،2013،ص195

110- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1،ص261

111- اشتهر بايلك الشرق بالعديد من الزوايا التي بلغ عددها 16 زاوية وكانت تمثل العائلات المعروفة بالمنطقة والتي احتلتشهرة واسعة، مثل زاوية سيدي الكتاني، وسيدي المناطقي، وسيدي عبد المؤمن، وسيدي مسيد ، وسيدي مخلوف، وسيدي ميمون، وسيدي التلمساني

، وزوايا أولاد الفقون، وزوايا بن نعنون، وزوايا أولاد جلول، وزوايا رضوان خوجة، وزوايا بني مقران، وزوايا بني مسعود، وزويا محمد بن يحي بأولاد النور، وزوايا مولاي الشقفة بمنطقتي القل وجيجل، أحمد مريوش، المرجع السابق، ص165--112-صالح فركوس،المرجع السابق،ج1، ص584.

113 –Bernard Caporal,**Oran capital du Beylik de L'ouest1792-1830**,Edition Alpha,Alger,2012,p320

114-أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق،ج1، ص262--115-المرجع نفسه، ج1،صص:286-287

116- للمزيد من المعلومات ينظر:حمدادو بن عمر، المساهمة العلمية لمتصوفة بايلك الغرب خلال القرنيين 11-12هـ/18،17م)، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديثجامعة وهران، الجزائر،2013/2012

117-كلمة مشتقة من القطن ضد الضعن لأن أهلها قاطنون ليسوا بأهل عمود، ،و هي قرية صغيرة تبعد بحوالي 28كلم من مدينة معسكر، الأمير عبد القادر ،مذكرات الأمير عبد القادر، تحقيق محمد الصغير بنانيوآخرون، شركة دار الأمة، الجزائر،1994،ص28

118-مصطفى بن مختار ،جد الأمير عبد القادر ،أسس معهد القيطنة وكان آخر معهد بالقطاع الغربي ،كما يعد صلة وصل بين العهد العثماني و عهد الاحتلال الفرنسي،توفي الشيخ سنة 1212هـ في طريق رجوعه من الحج ببرقة وقبره معلوم هناك، وخلفه ولده السيد محي الدين ،ينظر الأمير عبد القادر، المصدر السابق،ص28، ناصر الدين سعيدوني،الجزائر في التاريخ،ج4،ص ص:227-228 ، أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق،ج1، ص521

119-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي....المرجع السابق،ج1،ص521

120-الطيب بن المختار الغريسي،القول الأعم في بيان أنساب الحشم،جمع الهاشمي بن بكار، المطبعة الخلدونية، الجزائر،1961،ص 340-

-121-الأمير عبد القادر ، المرجع السابق،ص28، أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق،ص521

122-أبوراس الناصري، لقطة العجلان في شرف الشيخ عبد القادر ابن زبان،تحقيق:حمدادو بن عمر،منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر،2011،ص 61 من مقدمة التحقيق--123-أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق،ج1،ص521

124-الأمير عبد القادر، المصدر السابق،ص29--125-أبوراس الناصري، عجائب الأسفار....المصدر السابق،ج1، ص49، مقدمة التحقيق--

126- أبوراس، فتح الاله....المصدر السابق، ص24--127-المصدر نفسه، ص24

128- شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تونس، 1974، ص39--

129- المصدر نفسه، ص40--130- الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص28--131- أبوراس، فتح الاله...، المصدر السابق، ص24--132-

المصدر نفسه،ص24--33[1]- الأمير عبد القادر، المصدرالسابق، ص28

134- صلاح مؤيد، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البصائر،الجزائر،2002،ص501

135-الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص29--136-ناجي جلول،الرباطات البحرية بافريقية في العصر الوسيط، السلسلة التاريخية، العدد 9،تونس،1999،ص194 --137- المهدي بوعبدلي ،تاريخ المدن، إعداد وجمع،عبد الرحمن ديب،عالم المعرفة ،الجزائر،2013،ص87--

131-محمد الأمين بلغيث، الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الجزائر، 1987م،ص267--132-المرجع نفسه،ص267

133-أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق،ج1، ص272--134- المهدي بن شهرة، المرجع السابق، ص158

135-يحي بوعزيز، دور العلماء والرباطات في تحرير مدينة وهران من أيدي الأسبان، دراسات مغاربية، العدد1، جامعة وهران، 1988،ص109--136-الزياني، المصدر السابق،ص253--137-نفسه،ص255--138-نفسه،ص255

139-ابن زرفة، المصدر السابق،ص325.-----140- أبو القاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي...المرجع السابق،ج1،ص272.